



دكتور أحمد عيساوي
الجزائر

ثمة ظاهرة تبليغية ودعوية متميزة، تبرز بوضوح في الخطاب القرآني الكريمة، وقد تكررت بجلاء العديد من المرات في الآيات المكية والمدحية، ومع مختلف دعوات أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، ومع سائر أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام خلال اتصالهم التكليفي الأول بربهم، وخلال تلقיהם معالم الرسالة من لدنـه بواسطـة أمـين الـوحي جـبريل عـلـيه السلام، أو بـقـيرـه من وـسـائـط الـوـحـي الـأـخـرـى، يـمـكـن تـلـمـحـها بشـئـهـ من التـدـبـيرـ والتـوـسـمـ، وـذـلـكـ يـعـقدـ صـلـةـ منـهـجـيـةـ وـتـدـبـرـيـةـ فيـ مـكـوـنـاتـهاـ وـمـعـالـمـاـ الرـئـيـسـةـ.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْيَهُودُ عَلَى وَجْهِهِمْ بِكُلِّ
أَنْوَافِ الْكُنْتَمِ إِذَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ
لَمْ يَأْتُهُمْ بِآيَاتٍ مُّنَزَّلَاتٍ فَلَمَّا
أَنْتَرَهُمْ لَنَزَارَةً إِذَا هُوَ الظَّاهِرُ الْجَاهِ
رَجَلُوا عَلَى بُرْشَتٍ وَقَدِ اتَّهَمُوهُ
إِنْ كَانَ اللَّهُ عَالِمِينَ وَرَدَعَهُمْ
الْمُسْكَنُجُونُ وَقَالُوا تَبَّأْتِي هَذَا قَبْلَ
رَأْيِكَ وَأَنْتَ بِهِ لَمَدُونٌ مِّنَ الْمُنْ
جَاهِينَ لَمَّا رَأَوْهُمْ أَنْتَرَهُمْ
لِلْعَلَمِ الْمُعْلَمِ

مقوّمات المُشروع الحضاري الإسلامي في

رسالة نبیٰ اللہ موسیٰ ونوح

وحرکية حامله، إذ باتصالاته الثلاث الأولى تلقى عليه العصابة والسلام العالم والخطوط الكبرى للمشروع الإسلامى ولواصلات ومقومات حامله.

والدارس لتحقيق في هذه السور القرآنية الثلاث: (العقل، المدر، العصر) يتبعين من غير كثیر عناء معالج المشروع الكبير، وخطوه الرجعية العامة. كما يتبعين ايضاً مواصفات حامل المشروع الحقيقي، وبالإلهان التحصينية التي تضمن أصالة وفاعلية واستمرارية حامله.

فالتبسيح والحمد والاستغفار والتوبية الواردة في سورة المصمر هي وقود وادوات وعدة ووسائل الفداء المسلم، الملتزم يعتقد أينما ادم الاول مع الله، ومجموع هذه الآيات (التبسيح، الحمد، الاستغفار، التوبية) هي الضامن الأكيد لنجاح المشروع الإسلامي في واقع الناس.

ولنا استعراض هذه الظاهرة، وإثبات صحة وادعاء الفرضية التي افترضناها مائة في الخطاب القرآني من وجهة نظر رؤيتنا المتواضعة. مقددين حالة النبي الله نوح وموسى عليهما الصلاة والسلام، في أول اتصال تکلیفی ببرهما سبحانه وتعالی کنمودج صحة ما افتضناه آنفاً.

أنموذج نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام
إن المتتبع للخصوص القراءية المنزلة في شأن نبوة موسى عليه الصلاة والسلام يتبعن بوضوح هذه الظاهرة فقد اختار له الله تعالى كل

وهذه الظاهرة التسليفية الدعوية تتمثل في إجمال المولى تباركه وتعالى العالم الكبير والخطوط المرجعية المقدسة لرسالة ذلك النبي عليه الصلاة والسلام أبجديات في اللقاء الأول، حيث يلتقي النبي عليه الصلاة والسلام أبجديات المعتقدات المقدسة والضوابط المرجعية الكبرى للعبادة، والخطوط العامة للمنظومة التشريعية. بعد أن يوفر له المولى تباركه وتعالى كل عوامل الجذب والاستقطاب، والتحضير المعنوي والروحي والأدبي لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام.

وهذا ما حصل - بالفعل - مع رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في روحانيات وأشواق النقاء الأول في شارع حرارة المبارك تيلة نزول الوحي المقدس عليه، إذ تلقى رسولنا الكريم محمد ﷺ معانيم الرسالة الأولى لهذا الدين من خلال الآيات السبعة من سورة العلق، وكما حصل له أيضاً في المرة الثانية أو الثالثة من قاء أمين الوحي جبريل عليه السلام وهو يتعرف على مواصفات حامل المشروع الإسلامي من خلال الآيات الخمس الأولى من سورة المتر والمزمل، وكما ثبتت أيضاً تجربة سنت الدعوة الإسلامية للسلام والمعترين المتسمية، الآيات الصياغة، وصواميل التحصين والدفاع، لدوام هاعليمة المشروع الإسلامي، وأصالحة وفاعلية ونفعية حامله، بما خنته الولى تبارك وتعالى في آخر التنزيل في سورة العصر، حيث تضمنت - سورة العصر - كل آيات التحصين والممانعة الضرورية والجمعية المائية والمعنىوية، الكيانية والإمكانية والتمكينية، وكل مقومات الصياغة والفاعليّة لجمدة المشروع، والأصالحة

عوامل الجذب والإثارة الإيجابية زماناً ومكاناً ومتاخماً وواقعاً وحالاً، كما يضيّض بذلك ظاهر هذا النص القراءني، وغيره من النصوص التي سندفها به، إذ يخبرنا المولى تبارك وتعالى عن حرارة وإيماءات اللقاء الأول فيقول: «وَهُل أَتَكُمْ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُنُوا لِي أَنْسِتُ نَارًا لِعَلِيٍّ أَتَيْكُمْ مِنْ بَقِيسِ أَوْ أَجَدِ عَلَى النَّارِ هَذِي». فلما أتاهما نودي يا موسى، إني أنا ريك شاكح نعليك إنك بالوادي المقدس طوى» (طه: ١١-٨). على الرغم من عدم إشارة القرآن إلى مدة سياحته بأهله بعد خروجه من كتف الرجل الصالح الذي روجه إحدى ابنته، وإلى أي اتجاه سار؟ ولكن النص القراءني شع بآيجيات الخطاب الأول، وبعوامل الجذب التي جذبت موسى إليها، وببعض مواصفات المكان الذي تمت فيه عملية التلقي المباركة.

وفي المكان المقدس بواد طوى يحصل له أول تعارف غريب في حياته، تعارف لم يالله من قبل، تعارف غير مشابه لعلاقات التعارف بين البشر، إنه التعارف مع ربِّي، الذي يتوجه إليه مباشرةً بالأمر بعد التعرّف بيده المقدسة، وبجدارة استحقاق هذه الدرجة العالية لتلقي معالم الرسالة الإلهية المقدسة والاصطلاح بهمة تليغها للناس، كما بين ذلك النص القراءني «إِنِّي أَنَا رِبُّكَ شاكح نعليك إنك بالوادي المقدس طوى، وإن اخترتَك فاستمع لِي يوحني» (طه: ١٢، ١١).

٢- المنظومة العقدية:

وكما يحتاج أي كيان إلى منظومة قيم، فإنه يحتاج أيضاً إلى منظومة عقدية تضفي عليه أس الاختيارات، حيث التقل الأعلى والرجوع القدس لكل أفراد الكيان وقد شع النص القراءني بالعناصر الأساسية للمنظومة العقدية، وهي:

- ١- الأمر بالتوحيد الخالص الذي لا تشوهه شائبة، وبالعبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى حيث يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا إِنَّمَا يَعْبُدُنِي». ياموسى إني أنا الله رب العالمين».
- ٤- حقilitة الساعة، وحقيقة الإيمان باليوم الآخر «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةٌ إِذَا أَخْذَيْرُكُمْ لِتَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى».

وهنا تم تنبية النبي الله موسى عليه الصلاة والسلام لعلم رئيس وهم عن أسلوبية العقدية والتوجيهية في الخطاب الإلهي الموجه إليه عليه الصلاة والسلام، والمتمثل في عقيدة التوحيد، وحقيقة وجوده

٣- المنظومة التعبدية:

يحتاج أي كيان اجتماعي لبقاءه قوياً وصحيحاً وراشدًا إلى منظومة تعبدية تضمن له الوحدة الدينية والروحية والسلوكية لأفراده، وتعممه من التشتت والفرق، والمنظومة التعبدية مهمة جداً في حياة الأفراد والجماعات، ولهذا فقد شمل الخطاب القراءني الأول لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام التأكيد على أهمية هذه المنظومة، وقد شع النص القراءني بمكونات هذه المنظومة، وهي:

- ١- الأمر بعبادته، وحده دون سواه، ونبذ كل العبوديات الأخرى «إِنَّمَا يَعْبُدُنِي».
- ٢- الأمر بإقامة الصلاة لله تعالى «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ».

٣- الأمر ببرفع ذكر الله، والتکبير بالأذان لمواعيد الصلاة والعبادة «الذکری».

وهنا تم تنبية النبي الله موسى عليه الصلاة والسلام لعلم رئيس وهم عن أسلوبية المنظومة التعبدية في الخطاب الإلهي الموجه إليه عليه الصلاة والسلام، والمتمثل في جمع الكيان الاجتماعي حول عبادة واحدة.

وكما صرَّح الله تعالى في نص القراءني آخر بحكم تكرار قصة بني إسرائيل مقاصد معلومة عند أهل التفسير - عن أول لقاء يحمله بعدم موسى في الوايدي المقدس طوى في قوله: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَّا مِنْ شَجَرَةِ الْوَادِيِّ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقِعَةِ الْمَبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنِّي مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِنِّي فَاعِدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةٌ إِذَا أَخْذَيْرُكُمْ لِتَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى». فلما تحقق ذلك، فلما يعتذر موسى، أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضضم إليك جناحك من الرهب فدانك برهانك من ربك إلى فرعون وعلمه إيمان كانوا قوماً فاسقين» (التحصين: ٣٠-٣٢).

وكما صرَّح الله تعالى - في موضع القراءني آخر - عن لقاءه الأول بعدم موسى في الوايدي المبارك وأصفا حال عبد، فقال: «إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي أَنْسِتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا يُخْرِجُ أَتَيْكُمْ بِشَهَابٍ قَبِيسٍ لِمَكْرُمَتِكُمْ تَسْطَلُونَ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَّا أَنْ يُورَكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا وَسِبَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَالْقِعْدَةُ قَلْمَانَ رَاهَا نَهَسَرَ كَانَهَا جَانَ وَلِيْ مَدِيرَا وَلِمْ يَعْقِبَ يَا مُوسَى لَا تَخْفِي لِيْ رَحِيمَهُ» (النَّمَل: ١٠-٧).

والتمعن في مضامون الخطاب الإلهي الأول الموجه لموسى في هذه السور القراءنية الثلاث، يتيقن فيه بوضوح المعالم الكبرى للمنهج الريادي، وقد تضمن المنظومات القيمية الأساسية لنشأة الأمم واثنيات الواشدة وهذه المنظومات الأساسية هي:

في الخطاب الإلهي الموجه إليه عليه الصلاة والسلام والمتهم في ضرورة بسط وتفعيم روح الشقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى، ونشرها بين الأفراد والجماعات كمعتقد وإيمان وثقافة وسلوك طبيعي يسود ويميز سائر علاقات المجتمع المسلم.

* مميزات مرحلة لقى الرسالة الإلهية المقدسة:

إن التتابع لسبرة نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم يتبرى أن بعد عملية الإعداد المكامل والتوازن له بين على الرفاد في قصر فرعون، والشدة من الهرجة والركون لخدمة الرجل الصالح، يخرج الله تعالى موسى جلداً ثقيراً، مستعداً للتلقى حمل أمانة الرسالة الإلهية المقدسة، وهو متزود بالعلم الرئيسي للدعوة، التي قوامها: التوحيد الرباني الحالى، والخلاص المطلق، والتقوى العصيّة، والاختيارات الكثيرة والمستمرة، والطاعة المتناهية له سبحانه وتعالى.

وقد تميزت هذه المرحلة - بالرغم من قصرها وعدم تعين مدتها الزمنية - بما يلى:

- ١- تلقى البعض الرسالي القدس بعد الإعداد الشاق والختنى، وهو من بين آخر المراحل الحساسة في حياة الداعية والدعوة حيث لا نجاح للداعية وللدعوة من غيرها.

- ٢- ادراك قيمة ومسؤولية الرسالة الإلهية المقدسة، فإن حملها جسم، وتبلّغها أجسماً.

- ٣- وعي الخطوط والمعلم الرئيسي للدعوة، لأنها الخطوة الحساسة قبل التصدّي لتلبّيّها للمدعىّين.

- ٤- المرحلية في التلقى، والتدرج في الدعوة والتبشير في التكليف.

- ٥- اشتغال الرسالة في مرحلتها الأولى على الخطّول والمعلم الكلية الكبرى، المشكّلة لأهمِّ

كليات الأطراف المرجعي للدعوة الموسوية.

وقد قالت المراحل الدعوية اللاحقة لعمق وعرض هذه القسم في عوالم الحياة الإنسانية والواقعية، ولعلنا باستعراض نموذج نبى الله نوح عليه الصلاة والسلام نتعمّق بعض الشيء في توضيح ظاهرة التلقى الدعوي للمعلم الكبير للرسالة من خلال النساء الرسالي الأول.

* نموذج نبى الله نوح عليه الصلاة والسلام:

بعث الله نبىه نوح عليه الصلاة والسلام في قومه لما تفشّت فيهم عبادة الأوثان، ولما اكتروا بالخصوص والمسجد للآصنام في سائر شعوب حياتهم، شائمه في ذلك شأن المجتمعات الصالحة والناحرفة عن منهاج ربها، والحقيقة الفاضحة الموجودة بين

٤- المنظومة الاجتماعية:

تنظر الشريعة الإسلامية إلى المجتمع الإسلامي لا ينبعه أفراده ولا ينبعه عدد أسره وبيوته، حيث لا تقيّم وزناً للعدد الكمي بمعزل عن تفاعلات عالم القيم، بل ترى أن المجتمع الإسلامي هو محصلة التفاعل القيمي بين الموارد البشرية والمادية والقيميه. فكما ورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: (إياكم عرصمة باتوا وبينهم جائع فقد برؤوا من ذمة الله وببرؤه الله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شباعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم)، فلو كان المجتمع ينبع من البيوت والأسر والأفراد، لما كان مثل هذا الحديث، ولا غيره من التحاليم القراءية عن إطعام المسكين، ومساعدة الكل والاحتاج والضيق، والاعطف على النائم والحنان على الأسير، كقوله تعالى: «وبطعمنو الطعام على حبه مسكننا ويتيمها وأسيرا» (الدهر: ٨) .. وغيرها من الآيات الكريمة، ولذلك يؤكد الخطاب القراءي على أهمية المنظومة الاجتماعية كمحضن رئيس ووحيد لعوالم القيم الأخرى. وقد أشير إليه من خلال عملية الحساب والعقاب والجزاء، وقد شع النص القراءي بالتأكيد على أهمية هذه المنظومة، وتضمين ما يلى:

- ١- حقيقة الجزاء الآخرى، وحقيقة الحساب والجزاء «تجزى كل نفس بما تسعن».

- ٢- دعوة الناس لتوحيد ربهم وعصاباته والإيمان به والإخلاص له والتوكّل عليه، وعدم اتباعهم لمواههم خلال ممارستهم مختلف تشكّلاتها في واقعهم الاجتماعي.

وهنا تم تتبّيه نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام لعلم ربّيس ومهم عن ابن المنظومة الاجتماعية في الخطاب الإلهي الموجه إليه عليه الصلاة والسلام.

٥- المنظومة الكيانية السياسية:

ترى الشريعة الإسلامية أن تنصّ الخليفة أو الحاكم على الجماعة المسلمة من أهم وقدس تعاليم وفريضات الدين، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع، وغيرها من طرق الإثبات العقلي التي تبين أهمية تنصّ الخليفة وفالدته لاستمرار الجماعة قوية ومتّسكة وراشدة، ولذلك شع النص القراءي بالحديث عن تناول المنظومة الكيانية، وضرورة اتخاذ كافة التدابير للدفاع عن الجماعة المسلمة الذي هو من أخص وظائف الأنبياء والرسلين والصلحـين، وقد تضمن النص القراءـي إلى المسائل التالية:

- ١- مقارعة الظالمين بالحجّة والبرهان، ومقاومة كل أشكال المطبعـان ومدعـي الريـوبـية «فلا يمسـنكـ عنها من لا يؤمنـ بها واتـعـ هـواـ فـتـرـدـيـ».

- ٢- اشتـارـهـ بأـمـنـ المـلـقـ وـنظـمـيـنـ بـالـشـقـةـ الـكـامـلـةـ بـرـبـهـ «يا مـوسـىـ أـقـيلـ وـلـاـ تـخـفـ إـنـكـ مـنـ الـأـمـنـ».

- ٣- تأيـيـدـ بـالـعـجزـاتـ وـالـقـوىـ الـخـارـقةـ لـتـبـكـ فـرـعـونـ وـمـلـكـ الـعـادـينـ «اسـلـكـ يـدـكـ فـيـ جـيـبـكـ تـخـرـجـ بـيـضـنـاءـ مـنـ غـيـرـ سـوـهـ وـاضـسـمـ إـلـيـكـ جـتـاحـتـ مـنـ الرـبـ قـدـلـكـ بـرـهـانـانـ مـنـ رـبـكـ إـلـىـ فـرـعـونـ وـمـنـتـهـ إـنـهـ كـانـواـ قـوـماـ قـاسـفـينـ».

وهـناـ تمـ تـبـيـهـ نـبـىـ اللهـ مـوسـىـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ لـعـلـمـ ربـيسـ ومـهمـ عنـ ابنـ المنـظـومةـ الـكيـانـيـةـ الـسيـاسـيـةـ وـعـوـاـمـ دـجـاجـهاـ وـاسـتـمـارـاهـ

ولفسيره عن قصة نوح وقومه وزمامه وبلده ومحرباتها، إلا مجرد تقولات إسرائيلية واردة عن طريق عبد الله بن سلام وكعب الاخبار ووھب بن متبہ وأبن جریح من تواریخ العهد القديم، ظنوا الكثیر من المفسرين انها آئیة شکل او باخر من الآثار النبویة، وقد رأیا ان الإمام الطبری - على قوله وجلاله - قد ضمّنها لفسیره ولتأریخه، وكذلك الإمام ابن کثیر - على قوله وجلاله - قد حذفها لفسیره ولقصصه، وغيرهم من صنقوها في قصص الأنبياء.

• دعوة نبی الله نوح عليه السلام:

عد المولى تبارك وتعالى في القرآن الكريم مسافة ثبوة نحو عليه
الصلوة والسلام قضية جوهرية وأساسية في سياق عرضه لدعوات
وبذوات من أوصياءه والرسول كما بين ذلك أيضاً اثناء عرضه
لقصة نبيه نحو عليه الصلاة والسلام وفاته دعوه تقومه، عارضاً لها
بمخالفته صور التأكيد المغوفية والبالغية والعقدية والتصورية
والستينية.. منها قوله تعالى: «ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبتْ فلبيهم
الف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون»(العنكبوت:
١٤)؛ وقوله تعالى: «ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقتلَ يا قوم عبدوا الله
ما لكم من الله غيره إني أخاف علىكم عذاب يوم عظيم»(الأعراف: ٥٨) ..

وغيرها من الآيات المركبة على بُونه ودعوه عليه الصلاة والسلام . وقد صاحب التأكيد القرافي الكريم على بُونه وبعنه رسالته ودعوته، تعدد الكثير من تفتيشات واليات العمل الدعوي المتعددة من (اعلام وإبلاغ وإنذار وأخبار ونصح وتبنيان وتنذير وترغيب وترهيب...) ، كقوله تعالى: « قال الملائكة لآدم قومك أنا نترك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنني رسول عن رب العالمين أبلغكم رسالات ربكم وانصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أوجيئتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ليذرركم وتنتقو ولعلكم ترجمون » (الأعراف: ٦٠) .

كما تلازم آثاء سرد نمودجه الدعوي الإنذار بالزجر والوعيد في العديد من الموضع القرائية منها قوله تعالى: «إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه أن اندر قومك من قبل أن ياتيهم عذاب أليم». قال يا قوم إنكم ذنير مبين، إن اعبدوا الله والقوه وأهليون، يغفر لكم من ذنبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنت علمون» (نوح: ١ - ٤)، كما تلازم أيض الإنذار والإعلام بالتوضيح والبيان، كقوله تعالى:

«وَقَدْ أرْسَلْنَا تُوحِّي إِلَى قَوْمٍ أَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مِّنِيْنَ. أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْحِسْبَارِ (هُودٌ: ٤٥-٤٦) وَكَذَّالِكَ الْإِذْنَارُ
وَالْإِعْلَامُ بِالْتَّوْبَةِ وَالدُّعَوَةِ وَالإِرْشَادِ كَتَبْلَهُ تَعَالَى: «وَاتَّلْ عَلَيْهِ تَبَّأْ نَوْحٌ
إِذْ قَالَ لِتَوْهَمَهُ يَا قَوْمَ إِنْ كَانَ كَبِيرًا عَلَيْكُمْ مَهْمَنٌ وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَطَلَّ
اللَّهُ تَوْكِلْتُ فَأَجْمَعُوكُمْ وَشَرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ ثُمَّ
أَفْضَلُوكُمْ إِلَيْيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ. فَإِنْ تُولِّتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى اللَّهِ وَأَمْرِتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». (يوهُوسٌ: ٧٦-٧٧).

أيدينا عن وضعية قوم نوح العقدية والروحية والواقعية والحياتية والتي سنتنا إليها في دراستنا هذه هي التي قدمنا لنا القرآن الكريم في العديد من المواضيع القرآنية من أئمها كانوا يعيشون حالة الضلال والمعنى البين، إذ يخبرنا المؤلم تبارك وتعالى عنهم يقول: «وَاتْلُ عَلَيْهِ مَا نَوْجَعَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ إِنْ كَانَ كَبِيرٌ عَلَيْكُمْ مَثَانِي وَتَذَكِّرِي بِيَابَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكِّلْتُ شَاجِعًا هُمْ كَمْ شَاءُوا لَمْ يَكُنْ أَسْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةً ثُمَّ أَفْضَوْا إِلَيْنَا وَلَا تَنْظِرُوهُنَّ» (يوسوس: ٧١)، كما كانوا يعيشون في حالة فقدان للوعي، وانعدام للتوازن النقصي والروحي والاجتماعي والأخلاقي... وقد وصفهم المؤلم تبارك وتعالى بقوله: «وَإِنْ يَكْنِيوكُمْ فَقْدَ كَدِبْتُ قِيلَوْهُمْ قَوْمَ نُوحَ وَعَادَ وَتَمْوِيدَ» (الحج: ١٢)، وقد عرض المؤلم تبارك وتعالى اطراضاً من حياتهم الثالثة في العديد من المواضيع القرآنية وأوصاصاً فيها عقیدتهم وأخلاقهم الفاسدة، وانتشار الرذائل والمناسدة الفكريّة والعقدية والاجتماعية ببيتهم، وحالة نبيه نوح بينهم بقوله: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ قَالًا يَا قَوْمَ أَعْبُدُ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ فَلَا تَتَّقُونَ». فقال الملا الدين كفروراً من قومه ما هذا إلا بشير مثلكم يريد أن يتخلص عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في أيتنا الآباء، إن هو إلا رجل به جنة فتربيصوا به حتى حرب، قال رب الصبرى بما كذبون، فأوحينا إليه أن أصنع الشنك باعیننا ووحينا فإذا جاء أمردا وفار التئور شاسك فيها من كل زوجين اثنين واهلك لا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الدين طلبه—وائمهم مفركون» (المؤمنون: ٢٢-٢٣).

يُنكر غير هذه الحقائق، عن بعنه وقومه وبذاته
يُنكر بالتحديد زماناً ومكاناً وكائناً. اللهم
لا أنت قد شكّلوا مزوجاً فربما للمجتمع الضال
عن هنيع الله، وهذا هو القدر العلمي المأكول من
الحقائق الذي سيفيدنا في دراستنا الدعوية

نحوه في الله نوع عليه الصلاة والسلام، وإن
عدم احتفال القرآن الكريم يذكر التفاصيل
الزمانية والمكانية والكتابية عن قومٍ نوع
ولدهم وزمامهم، وعن غيرهم من الأقوام
يعود بالأساس لاعتبارات داخلة في
إعجازه، ومنعها باحتفاله بالحقيقة
المطلقة التي سيمارسها وسيتوارد
على تبنيها بني البشر إلى يوم

شزان الكرم
عَدْم
جَفَاء
تَفَاسِيل
دُخُلُّهُ
عِيمُ قِيمَهُ
عِجَارِيَّهُ
الْمَعْلُومَاتُ
كُلُّهُ حُسْرَهَا
عَضْرُ
الْمُشَتَّلَينُ
بِالشَّرَانِ
الْكَرِيمِ



تشعرن، وما أنا بطارد المؤمنين، إن أنا لا تذير مبين.^٤(الشعراء: ١٠٥ .. ١١٥).

كما عرض تبارك وتعالى - بتأثير حسن متناه، وبتصوير فني دقيق، ومؤثر - في العديد من المواضع القرآنية لحمة قاتلهم، ولصلفهم، ولغورهم، ولجهالهم، وتعناهم ولصبرهم المظلوم ولنهائتهم المحومة، ولنصرتهم البئيس غرقا، فقال: « قالوا لمن لم تنته يا نوح تكونون من المرجومين. قال رب إن قومي كاذبون، فافتتح بيتي وسيتم فتحها وتحسّن ومن معن من المؤمنين»^٥(الشعراء: ١١٦ .. ١١٨)، كما صور تبارك وتعالى خانتهم المأساوية بقوله: « ويصفع النفل وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا شانوا سخرا منكم كما تسخرون. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب بخيزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور فلتاح محل فيها من كل زوجين الذين وأهلك لا من سبق عليه القول ومن أمن وما أمن معه لا قليل. وقال اركبوا فيها بسم الله مجرريها ومرساها إن ربي المضور رحيم، وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادي شوّاف ابنيه وكان في معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه وحال بينهما الموج هكان من الغرقين وقبل يا أرض إليني ماءك ويا سماء أطعنك وفيض الماء وفاضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعد ما لقون الظالمين.^٦(هود: ٣٨ .. ٤١) ».

١- ترابط القيم الروحية العقدية والاسجامها مع المكونات المادية والواقعية.
 وقد اثنى تبارك وتعالى على جديته ومتابرته في الدعوة إليه في العديد من المواضع القرآنية منها قوله: « ولقد نادانا نوح فلننعم الحبيسين. ونجيئه وأهله من الكرب العظيم. وجعلنا ذريته هم الباقين. وتركتنا عليه في الآخرين سلام على ذروج في العالمين. إنما كذلك نجزي الحبيسين، إنه من عبادنا المؤمنين. ثم أغرقنا الآخرين»^٧(الصافات: ٧٥ .. ٨٢)، والمتمعن في نداء المولى تبارك وتعالى على جديته ذيبة ذوجه عليه الصلاة والسلام في الدعوة إليه يسجل الملاحظات التالية:
 ١- نوعية شخصيته المتميزة بارتباطها الوثيق بربها.
 ٢- نوعية نفسيته المتميزة روحها وعاطفيها والمشبعة بالثقة والطمأنينة والإيمان المطلق بالله.

٣- تشكيكه الحلقة الثانية من بعد آدم عليه الصلاة والسلام - ومن معه - لاستمرار تناسل الجنس البشري من بعد قتله بالطوفان.

٤- استحقاقه التحبّة والسلام والنشاء من المولى تبارك وتعالى تعطير صبره وطول تحسسه الدعوي المتميّز، وما بذلك من مجدهات في سبيل الدعوة إلى الله.

والحقيقة أن دعوة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام دعوة توحيدية خالصة تهدف أساساً إلى تصحيح الانحرافات العقدية الطارئة على الأجيال المتعاقبة من إبناء آدم عليه السلام تجاه خالقهم سبحانه.

وقد صورت الكثير من الآيات الواردة في سورة نوح أطروافاً من فحاءات التذكير بإنعام الله وكرمه على خلقه التي نقلها المولى تبارك وتعالى على لسان نبّي نوح عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: «.. فلقت استغشروا ربكم إنما كان غضاً، يرسل السماء عليكم مدراراً، وبمدكم بأموال وبينكم ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً، ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وقد حلقكم أطواراً، ألم تروا كييف خلق الله سبع سماوات عليكما، يجعل القمر فيهن نوراً يجعل الشمس سراجاً، والله أتيكم من الأرض ثباتاً، تم بعيدهم فيها وبطرركم إخراجاً، والله جعل لكم الأرض بساطاً، لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً...»(نوح: ١٠ .. ٢٠).

وقد أجمعـت تصوـرات القرآن الكـريمـ التي تـناوـلتـ وقـائعـ قـصـةـ نـبـيـ اللهـ نـوـحـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ مـعـ قـوـمـهـ، اـشـتـهـاـتـهـ عـلـىـ الـمـنـظـومـةـ التـوـحـيدـيـةـ وـالـتـعـدـيـةـ وـالـقـيـمـيـةـ الـلـازـمـةـ وـالـهـضـرـوـرـيـةـ لـقـيـامـ الـكـيـانـاتـ الـراـشـدـةـ، كـمـ أـشـارـتـ الـتـصـوـرـاتـ الـقـرـآنـيـةـ جـمـيعـهـاـ إـلـىـ وـصـفـ وـقـائـعـ، وـمـارـسـاتـ وـعـلـاقـاتـ نـبـيـ اللهـ نـوـحـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ مـعـ قـوـمـهـ، وـنـعـمـالـاـتـهـمـ الـمـخـلـصـةـ مـعـهـ، وـالـدـارـسـ الـمـتـسـعـ لـلـاـيـاتـ السـابـقـاتـ بـتـبـيـنـ تـلـقـيـ سـيـدـنـاـ نـوـحـ لـكـلـ مـقـومـاتـ الرـسـالـةـ الـتـيـ مـكـثـ بـيـنـهـاـ لـلـنـاسـ الـفـ سـنـةـ الـأـخـمـسـ عـامـاـ.

وقد اختلفـتـ الـلـدـ الزـمـنـيـةـ الـتـيـ مـكـثـتـ الـأـيـاءـ فـيـ قـوـمـهـ، بـالـرـغـمـ مـنـ تـقـيـمـهـ جـمـيعـهـ مـبـادـيـهـ الرـسـالـةـ فـيـ الـنـقـائـاتـ الـرـوـانـيـةـ الـأـوـلـىـ، وـهـوـ الـأـمـرـ الـذـيـ تـمـ بـتـبـيـنـ مـحـمـدـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ شـارـحـاءـ عـنـ تـلـقـيـ الـأـيـاءـ الـأـوـلـىـ مـنـ سـوـرـةـ الـعـلـقـ، وـمـنـ بـعـدـهـاـ الـمـذـرـ وـالـزـرـمـ، وـهـوـ مـاـ سـبـبـتـهـ فـيـ الـمـقـالـ الـأـلـيـ.

٢- الدعوة للقضية الأساسية المتمثلة في توحيد الخالق، وإخلاص العبودية المطلقة له.
 ٤- استخدام مختلف أساليب الدعوة كالتصح والتوجيه والمساراة والندارة، ومختلف وسائلها المتاحة.
 ٥- انقسام المدعوين إلى الأصناف الثلاثة المذكورة سابقاً: (الملا، من قوى الكيد والاستكبار الداخلية والخارجية، العامة من أصحاب الفخر المدخلة، ومن أصحاب النظر السوية من أتباع نوح).
 ٦- التنوع الحركي داخل العمل الدعوي، وتناسبه مع معطيات ومتطلبات المرحلة.
 ٧- الأخذ بجميع الأساليب المادية والأدبية.
 ٨- تنوع أساليب وسائل الخطاب الدعوي حسب مقتضيات ومتطلبات كل مرحلة.
 ٩- العمل على تكوين المجتمع الأفضل والفرد السوي روحياً